التطبيقات الأدبية

المنهج النفسي

المرحلة الرابعة

المنهج النفسي:

- وهو المنهج الذي يخضع النص الأدبي لمحددات البحث النفسية، ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها الخفية وخيوطها الدقيقة، وما لها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة.

نشأته

- للمنهج النفسي في النقد الأدبي جذور بعيدة، تمثلت في تلك الملاحظات التي ترد في بعض ظواهر الإبداع، فيمكننا أن نجدها في نظرياتِ أفلاطون عن أثر الشعر على العواطف الإنسانية، وما لذلك من ضرر اجتماعي؛ طرد لأجله الشعراء من مدينته الفاضلة، كذلك نلاحظ أن "نظرية التطهيرعنده ((تربط الإبداع الأدبي بوظائفه النفسية من خلال استثارة عاطفتي الخوف والشفقة)).
- وقد فطن النقاد القدماء لهذا المنهج من خلال نظراتهم الدقيقة التي تدل على عمق خبرتهم بالنفس الإنسانية ومدى تأثرها بالأدب.
- فكان ابن قتيبة من أوائل من تلمس البواعث النفسية في الشعر بين النقاد، فنراه يطرح العوامل النفسية التي تختفي وراء العمل الأدبي والمنحصرة في إطار الباعث الشعوري كالغضب والطرب والشوق والحالات الشعورية الأخرى ليس أكثر،

- يقول: «وللشعر دواء تحث البطيء وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب...)) وتحدث عن الوقت بالتحديد كأول الليل، وصدر النهار، وذهب ابعد من هذا عندما ربط المكان بالإبداع، فهو يحث الأديب ضرورة اختيار المكان كأن يكون في نهر جار، وروضة معشبة ومكان واسع لا أمد له .
- أما القاضي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، فقد ذهب إلى أبعد من هذا في تحليله الملكة الشعرية وإرجاعه إياها إلى عواملها المختلفة من طبع ورؤية وذكاء، وأن اختلاف الشعر يرجع إلى اختلاف طبائع الشعراء أنفسهم.
- ويربط ابن طباطبا العلوي في عيار الشعر ربطًا نفسياً بين ارتياح القارئ للنص واهتزازه له، وبين عاملي الموافقة والمخالفة أو الألفة والغرابة، وفي ذلك جانب من الكشف عن القوانين المتحكمة بحالة المتلقي والمحددة لمواقفه وردود أفعاله .
- ولعبد القاهر الجرجاني وقفات ونظرات في أثر الشعر على النفس، من ذلك ربطه بين مزية النص ولطفه وبين ما يتسم به من غموض وبعد عن المباشرة يبعثان في النفس دواعي الحنين إليه والرغبة في نيله، لا لشيء إلا لتمنعه عن الانكشاف السهل المباشر.
- وهذه الآراء هي بمثابة إرهاصات وتوطئة له .

تطوره في الغرب:

- بدأ المنهج النفسي بشكل علمي منظم مع بداية علم النفس ذاته منذ مائة عام على وجه التحديد في نهاية القرن التاسع عشر بصدور مؤلفات (سيغموند فرويد) في التحليل النفسي وتأسيسه لعلم النفس، استعان في هذا التأسيس بدراسة ظواهر الإبداع في الأدب والفن كتجليات للظواهر النفسية .
- فقد رأى فرويد أن العمل الأدبي موقع أثري له دلالة واسعة، ولابد من كشف غوامضه وأسراره، فالإنسان يرسم واقعه ويعبر عن رغباته المكبوتة ومخاوفه في صورة سلوك أو لغة أو خيال .
- وعد الفن مظهراً آخر من مظاهر تجلي العوامل الخفية في الشخصية الإنسانية.
- وبالغ فرويد عندما وصف الأديب بأنه مريض نفسياً، كالعُصاب وانفصام الشخصية وغيرها. وهذا بدوره يدفعنا إلى طرح السؤال التالي: إذا كانت العملية الإبداعية وليدة حالة مرضية يمر بها الأديب، فإذا شفي منها هل سيكف عن الكتابة؟ وهل سيتوقف التدفق الإبداعي؟ وهل كل الأدباء حقاً يعانون أمراضاً نفسية؟

يقوم المنهج النفسي على مجموعة من المبادئ أهمها

- النص الأدبي مرتبط بلاشعور صاحبه
- وجود بنية نفسية متجذرة في لاوعي المبدع تتجلى بشكل رمزي على سطح النص، وأثناء تحليل لابد من استحضار هذه البنية.
- يعتبر رواد المنهج النفسي الشخصيات الموجودة في الأعمال الأدبية شخصيات حقيقية لأنها تعبر عن رغبات ووقائع حقيقية مكبوتة في لاشعور المبدع.
- الأديب شخص عصابي يحاول أن يعرض رغباته في شكل رمزي مقبول اجتماعيا.

يركز المنهج النفسي في دراسته للأعمال الإبداعية على جوانب منها:

- عملية الإبداع الفني
- النص وسيرة المؤلف
- النص والمتلقي

عملية الإبداع الفني

- يرى فرويد أن العمل الأدبي يمكن النظر إليه من خلال علاقته بأنشطة بشرية ثلاثة : اللعب، التخيل والحلم . فالإنسان يلعب طفلا ويتخيل مراهقا ويحلم أحلام يقظة أو نوم وهو في كل هذه الحالات يشكل عالما خاصا به ، وما أشبه المبدع بالطفل الذي يلعب عندما يصنع عالما من خيال يصلح فيه من شأن الواقع .
- والإبداع شبيه بالتخيل، لأن التخيل عند المراهق يعادل اللعب عند الطفل .
- والإبداع شبيه بالحلم من حيث أنه انفلات من الرقابة ، ومن حيث أن الصور فيه رمزية لها ظاهر وباطن . وقد ركز فرويد على هذا الجانب تحديدا – أي: ارتباط الأدب بالحلم- لأن كلا منهما يمثل انفلاتا من الرقابة وهروبا من الواقع

- ولذلك قسم فرويد النفس البشرية إلى مناطق ثلاثة:

  - الأنا.
  - الأنا العليا.
  - الهو او الهي.

الأنا.

- ويراد به الجانب الظاهر من الشخصية وهذا الجانب يتأثر بعالم الواقع من ناحية، وبعالم اللاشعور من ناحية أخرى ، وهو يميل إلى أن تكون تصرفاته في حدود المبادئ الخلقية التي يقرها الواقع

الأنا العليا.

- وتتكون منذ الطفولة فالطفل يزن الأمور حسب نظرة والده، فالطفل يعجب بوالده الذي يجمع بين القوة والعطف وقد لخص الدكتور عبد العزيز القوصي صفات هذه المنطقة بقوله : ً إنها النقد الأعلى الذي يشعر الأنا بالخطيئة وهذا يعني أن هذه المنطقة تراقب الأنا ولا دخل لها بعملية الإبداع الفني

الهو او الهي.

يرى فرويد أن هذا الجانب من أهم الجوانب في حياة الإنسان، ومن صفاته:

- -إنه لا يتجه وفق المبادئ الخلقية
- -إنه جانب لاشعوري، يسير على مبدأ تحقيق اللذة والألم
- -لا يتقيد بقيود منطقية
- -من مركباته النزعات الفطرية والوراثية، ولذلك اعتمد فرويد مجموعة من العقد أهمها
- -عقدة أوديب : ميل الذكر إلى أمه ((أوديب ملكًا- للكاتب سوفوكليس))
- -عقدة الكترا : وهي عكس العقدة السابقة ، أي ميل البنت إلى والدها -العقدة النرجسية :
- حب المرء لنفسه
- فالإنسان حسب فرويد إنسان غير سوي تسره الغريزة، وما يظهر من مظاهر الحماسة إشارة إلى هذه الغريزة ورمز لها.

النص وسيرة المؤلف

- وفي هذا التطبيق يفسر النص من خلال حياة مؤلفه، في المقابل استنباط حياة المؤلف من خلال نصوصه. أي اتخاذ النص وثيقة تعين على سبر أغوار الكاتب النفسية.
- ويحاول الناقد التقاط ما أمكنه من جزئيات السرية الذاتية للمؤلف: طفولته ، نشأته ، وظروف حياته ، ومسودات كتبه واعترافاته ، وكل ما من شأنه أن يساعد على تحليل نفسية الكاتب

النص والمتلقي

- وهنا يعنى الناقد بعلاقة العمل الأدبي بالآخرين، وتأثرهم به مجيبا بذلك على سؤال تردد طرحه كثيرا، هو: لماذا يستثيرنا الأدب؟
- فأجاب البعض قائلا: إنه يستثيرنا لأنه يقدم في شكل رمزي، فنحن نعيش تجاربنا السابقة مع هذا النص.
- وهنا يكون التركيز على المتلقي ومدى استجابته نفسيا لهذا العمل الأدبي

نقد المنهج النفسي :
للمنهج النفسي في النقد عيوب وجوانب تقصير، منها

1. ينظرالمنهج النفسي إلى العمل الأدبي بوصفه وثيقة نفسية؛ مما يؤدي إلى معاملة العمل الأدبي على اختلاف مستوياته معاملة واحدة، فالعمل الأدبي الرديء كالعمل الأدبي الجيد من حيث دلالتهما على منشئهما، فلم يعد أساس التفاضل توافر قيم جمالية وفنية في هذا العمل، ولا شك أن النتيجة التي تترتب على ذلك هي أن هذا المنهج سيكون تحليلاً نفسياً أكثر نقدياً.
2. يعتمد المنهج النفسي على كشوفات علم النفس وقوانينه العامة، وهي قوانين وكشوفات لم تزل في إطار الفروض العلمية، وأن من الخطأ ان تتخذ نتائج يقينية وتطبيقها على النصوص الأدبية تطبيقاً حرفياً، فليس نبوغ الفنان مظهراً من مظاهر مرضه العصابي
3. اهتمّ المنهج النفسي في النقد العربي الحديث بالأديب وتجاهل النص الأدبي.
4. أخضع المنهج النفسي في النقد العربي الحديث النص الأدبي للتحليل الإكلينيكي، ممّا جعل هذا التحليل أقرب إلى التشخيص السريري منه إلى التحليل الأدبي.

5- أخضع المنهج النفسي في النقد العربي الحديث النص الأدبي للتحليل الإكلينيكي ، عندما أرجع إبداع الأديب إلى لا وعيه الناتج عن الكبت المرضي، ونزوات الماضي، وعقده النفسية.

6-جعل النص الأدبي دائماً تعبيراً عن الذات، من خلال ليّ عنق النص، وإخضاعه لهذه الفكرة، مما جعله غير قادر على تحديد العلاقة بين الأديب والعمل والأدبي، والمساواة بين العمل الأدبي الجيد والعمل الأدبي الرّديء؛ كون النص الأدبي وثيقة نفسية على صاحبه لا غير، ولا مجال فيه للكشف عن جوانب الإبداع المتفردة لدى الأديب.

7- أن المنهج النفسي ينظر إلى العمل الأدبي بوصفه وثيقة نفسية

8- يعتمد المنهج النفسي على كشوفات علم النفس وقوانينه العامة

9- اهتمّ المنهج النفسي في النقد العربي الحديث بالأديب وتجاهل النص الأدبي

10- أخضع المنهج النفسي في النقد العربي الحديث النص الأدبي للتحليل الإكلينيكي

11-جعل النص الأدبي دائماً تعبيراً عن الذات، من خلال ليّ عنق النص

- وفي ثقافتنا العربية نشأت مدرسة علم "نفس الإبداع"، أسسها "مصطفى سويف" ، صاحب كتاب :"الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة"، وقد كان كتابه هذا بمثابة نقطة الارتكاز الجوهرية لأعمال هذه المدرسة التي تشعبت وتناول تلاميذها باقي الأجناس الأدبية، فكتب "شاكر عبد الحميد" "الأسس النفسية للإبداع الفني في القصة القصيرة"، وكتبت "سامية الملة" "الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرح" .
- ومن الدراسات التي تناولت شخصيات من الوجهة النفسية دراسة النويهي الذي سعى إلى استنباط الخصائص النفسية ومظاهر السلوك المتجلية في أشعار أبي نواس، وقد انتهى إلى تفسير تعقيده بالاضطراب